Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السبب العاشر : مانع الألف والعادة والمنشأ ؛ فإن العادة قد تقوى حتى تغلب حكم الطبيعة ، ولهذا قيل : هى طبيعة ثانية . فيربَّى الرجل على المقالة ، وينشأ عليها صغيراً ، فيتربى قلبه ونفسه عليها ، كما يتربى لحمه وعظمه على الغذاء المعتاد ، ولا يعقل نفسه إلا عليها ، ثم يأتيه العلم وهلة واحدة يريد إزالتها وإخراجها من قلبه ، وأن يسكن موضعها ، فيعسر عليه الانتقال ، ويصعب علية الزوال .

وهذا السبب ، وإن كان أضعف الأسباب معنى ، فهو أغلبها على الأُمم ، وأرباب المقالات والنِحَل ليس مع أكثرهم بل جميعهم - إلا ما عسى أن يشذ - إلا عادة ومَرْبىً تربى عليه طفلاً ، لا يعرف غيرها ، ولا يحسن به ، فدين العوائد هو الغالب على أكثر الناس ، فالانتقال عنه كالانتقال عن الطبيعة إلى طبيعة ثانية ، فصلوات الله وسلامه على أنبيائه ورُسُله خصوصاً على خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ ، كيف غيَّروا عوائد الأُمم الباطلة ، ونقلوهم إلى الإيمان حتى استحدثوا به طبيعة ثانية ، خرجوا بها عن عادتهم وطبيعتهم الفاسدة ، ولا يعلم مشقة هذا على النفوس ، إلا مَن زاول نقل رجل واحد عن دينه ومقالته إلى الحق ، فجزى الله المرسلين أفضل ما جزى به أحداً من العالمين » (١) .

* * *

(١) مفتاح دار السعادة : ١/٨٨ - ٩٨